ذلك إلاّ للرسل خاصة فإنه كمالهم وهو في الأولياء نقص، لأن الرسل مضطرّون في الظهور لأجل التشريع، والأولياء ليس لهم ذلك، ألا ترى الله سبحانه لما أكمل الدين كيف أمره في السورة التي نعى الله إليه فيها نفسه فأنزل عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [سورة النصر: الآية ١ ـ ٣] أي أشغل نفسك بتنزيه ربّك والثناء عليه بما هو أهله، فاقتطعه بهذا الأمر من العالم لما كمل ما أريد منه من تبليغ الرسالة، وطلب بالاستغفار أن يستره عن خلقه في حجاب صونه لينفرد به دون خلقه دائماً، فإنه كان في زمان التبليغ والإرشاد وشغله بأداء الرسالة، فإن له وقتاً لا يسعه فيه غير ربّه، وسائر أوقاته فيما أمر به من النظر في أمور الخلق، فردّه إلى ذلك الوقت الواحد الذي كان يختلسه من أوقات شغله بالخلق وإن كان عن أمر الحق، ثم قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ أي يرجع الحق إليك رجوعاً مستصحباً لا يكون للخلق عندك فيه دخول بوجه من الوجوه. ولما تلا رسول الله ﷺ هذه السورة بكى أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وحده دون من كان في ذلك المجلس وعلم أن الله تعالىٰ قد نعى إلى رسول الله ﷺ نفسه وهو كان أعلم الناس به، وأخذ الحاضرون يتعجبون من بكائه ولا يعرفون سبب ذلك.

والأولياء الأكابر إذا تُركوا وأنفسهم لم يختر أحد منهم الظهور أصلاً لأنهم علموا أن الله ما خلقهم لهم ولا لأحد من خلقه بالتعلّق من القصد الأول، وإنما خلقهم له سبحانه فشغلوا أنفسهم بما خلقوا له، فإن أظهرهم الحق عن غير اختيار منهم بأن يجعل في قلوب الخلق تعظيمهم فذلك إليه سبحانه ما لهم فيه تعمل، وإن سترهم فلم يجعل لهم في قلوب الناس قدراً يعظمونهم من أجله فذلك إليه تعالىٰ، فهم لا اختيار لهم مع اختيار الحق فإن خيرهم ولا بدّ فيختارون الستر عن الخلق والانقطاع إلى الله. ولما كان حالهم ستر مرتبتهم عن نفوسهم فكيف عن غيرهم، تعين علينا أن نبين منازل صونهم:

فمن منازل صونهم أداء الفرائض في الجماعات، والدخول مع الناس في كل بلد بزي ذلك البلد ولا يوطن مكاناً في المسجد، وتختلف أماكنه في المسجد الذي تقام فيه الجمعة حتى تضيع عينه في غمار الناس، وإذا كلّم الناس فيكلمهم ويرى الحق رقيباً عليه في كلامه، وإذا سمع كلام الناس سمع كذلك، ويقلّل من مجالسة الناس إلاّ من جيرانه حتى لا يشعر به، ويقضي حاجة الصغير والأرملة، ويلاعب أولاده وأهله بما يرضي الله تعالىٰ، ويمزح ولا يقول إلاّ حقاً، وإن عرف في موضع انتقل عنه إلى غيره فإن لم يتمكن له الانتقال استقصى من يعرفه وألحّ عليهم في حوائج الناس حتى يرغبوا عنه، وإن كان عنده مقام التحوّل في الصور تحوّل كما كان للروحاني التشكّل في صور بني آدم فلا يعرف أنه ملك، وكذلك كان قضيب البان، وهذا كله ما لم يرد الحق إظهاره ولا شهرته من حيث لا يشعر.

ثم إن هذه الطائفة إنما نالوا هذه المرتبة عند الله لأنهم صانوا قلوبهم أن يدخلها غير الله، أو تتعلق بكون من الأكوان سوى الله، فليس لهم جلوس إلاّ مع الله، ولا حديث إلاّ مع الله، فهم بالله قائمون، وفي الله ناظرون، وإلى الله راحلون ومنقلبون، وعن الله ناطقون، ومن

almawaddah.be

الله آخذون، وعلى الله متوكلون، وعند الله قاطنون، فما لهم معروف سواه، ولا مشهود إلاّ إياه، صانوا نفوسهم عن نفوسهم، فلا تعرفهم نفوسهم، فهم في غيابات الغيب محجوبون، هم ضغائن الحق المستخلصون، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مشي ستر وأكل حجاب، فهذه حالة هذه الطائفة المذكورة في هذا الباب.

تتمة شريفة لهذا الباب: قلنا: ومن هذه الحضرة بعثت الرسل سلام الله عليهم أجمعين مشرّعين، ووجد معهم هؤلاء تابعين لهم قائمين بأمرهم من عين واحدة، أخذ عنها الأنبياء والرسل ما شرعوا، وأخذ عنها الأولياء: ما اتبعوهم فيه، فهم التابعون على بصيرة، العالمون بمن اتبعوه وفيما اتبعوه، وهم العارفون بمنازل الرسل ومناهج السبل من الله ومقاديرهم عند الله تعالىٰ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى الجزء السادس عشر والحمد لله.

(الجزء السابع عشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الباب الرابع والعشرون

في معرفة جاءت عن العلوم الكونية وما تتضمنه من العجائب ومن حصّلها من العالم ومراتب أقطابهم وأسرار الاشتراك بين شريعتين، والقلوب المتعشقة بعالم الأنفاس وبالأنفاس وأصلها وإلى كم تنتهي منازلها

[نظم: الطويل]

تعجَّبْتُ من مَلْكٍ يعود بنا مَلْكاً ... ومن مالكٍ أضحى لمملوكه مُلْكَا
فذلك مَلْكُ المُلْكِ إن كنت ناظماً ... من اللؤلؤ المنثور من علمنا سِلْكَا
فخُذْ عن وجود الحق علماً مقدّساً ... ليأخذ ذاك العلمَ من شاءه عَنْكَا
فإن كنتَ مثلي في العلوم فقد تَرَى ... بأن الذي في كونه نسخة مِنْكَا
فهل في العلى شيءٌ يقاوم أمْرَكُمْ ... وقد فتكَتْ أسيافُكم في الورى فَتْكَا
فلو كنتَ تدري يا حبيبي وجودَه ... ومن أنت كنتَ السيِّدَ العلمَ المَلْكَا
وكان إلهُ الخلق يأتيك ضعفَ ما ... أتيتَ إليه إن تحقَّقْتَه مِلْكَا

اعلم أيّدك الله أن الله يقول: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: الآية ٦٠] فإذا علمت هذا علمت أن الله رب كل شيء ومليكه، فكل ما سوى الله تعالىٰ مربوب لهذا الرب، وملك لهذا الملك الحق سبحانه، ولا معنى لكون العالم ملك الله تعالىٰ إلاّ تصرّفه فيه على ما يشاء من غير تحجير، وأنه محل تأثير الملك سيّده جلّ علاه، فتنوّع الحالات التي هو العالم عليها هو تصرّف الحق فيه على حكم ما يريده، ثم إنه لما رأينا الله تعالىٰ يقول: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٥٤] فأشرك نفسه مع عبده في الوجوب عليه، وإن كان هو الذي أوجب على نفسه ما أوجب، فكلامه صدق ووعده حق، كما يوجب الإنسان بالنذر على

almawaddah.be